أسماء النساء على حرف العين المهملة

٥٢ ـ عاتكة بنت عبد الله بن [يزيد بن][1] معاوية

ابن أبي سفيان

وهي مولاة زُجْلَةَ من فَوق[2] .

قال سعيد بن عبد العزيز :

كانت عاتكة بنت عبد الله تحت خالد بن يزيد ، فرآها لبستْ لِبْسةَ رجل ، فطلَّقها .

قال الزبير بن بكار :

رأتْ عاتكة في المنام قائلاً يقول : [من الكامل]

إنَّ الشبابَ وعيشَنا اللذَّ الذي ... كُنَّا به زَمناً نُسَرُّ ونَجْذَلُ
ذهبَتْ بشاشتُهُ وأصبح ذِكْرُهُ ... حُزْناً يُعَلُّ بهِ الفؤادُ وينْهَلُ[3]

قال : فأوَّلَ الناسُ ذلك من رؤيا عاتكة زوالَ مُلْكِ بني أميَّة ، فكان كما أوَّلوا .

---

(١) ما بين معقوفين من تاريخ ابن عساكر .

(٢) يُراد بهذا التعبير أن عاتكة سيِّدةُ زُجْلَة . انظر مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الخامس والأربعون ص ٤١

(٣) البيتان من قصيدة للأحوص يمدح بها عمر بن عبد العزيز ، أوردها أبو الفرج في الأغاني ٦٨/٢١ ط دار الكتب . وأورد الخبر أيضاً مع البيتين ١١١/٢١ ، ١١٢ بغير هذا السياق معزوًا لعاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية وبعده معزوًا لامرأة من ولد عثمان أيضاً . وانظر رواية البيتين والخبر في ٢٧٨/١٦ من هذا الكتاب .

obeikandl.com

٥٣ ـ عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

[٧٤/ب] ابن حَرْب بن أمية ، أمُّ البنين الأمويَّة

زوجُ عبد الملك بن مروان ، وأم يزيدَ بنِ عبد الملك . وأمُّها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيز . وإلى عاتكة تُنسَبُ أرضُ عاتكة ، خارجَ باب الجابية ، وكان لها بها قصر ، وبها مات عبد الملك بن مروان .

لمَّا أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب بن الزُّبير ناشَتْ[1] به امرأتُه عاتكة بنتُ يزيد وبكَتْ ، فبكى جواريها معها ؛ فجلس ثم قال : قاتل الله ابنَ أبي جُمْعَة حين يقول[2] :

إذا ما أراد الغَزْوَ لم تَثْنِ هَمَّهُ ... حَصَانٌ عليها نَظْمُ دُرٍّ يَزِينُها
نَهَتْهُ فلمَّا لم تَرَ النَّهْيَ عاقَهُ ... بكَتْ فبكى مِمَّا عراها قَطِينُها

ثم مضى .

قال محمد بن حبيب :

كانت عاتكة بنت يزيد تضع خمارها بين يدي اثني عشر خليفةً كلُّهم لها مَحْرَم : أبوها يزيدُ بن معاوية ، وأخوها معاوية بن يزيد ، وجدُّها معاوية بن أبي سفيان ، وزوجُها عبد الملك بنُ مروان ، وأبو زوجها مروانُ بن الحكم ، وابنها يزيدُ بن عبد الملك ، وبنو زوجها الوليدُ وسليمان وهشام ، وابن ابنها الوليد بن يزيد ، وابنا ابن زوجِها يزيد بن الوليد ، وإبراهيم بن الوليد المخلوع .

قال عبد الملك بن مروان لعاتكة بنت يزيد :

لو أشهدتِ بمالك لولدك ، قالت : أدْخِلْ عليَّ ثقةً من ثقات مواليَّ حتى أشهدهم ، فوجَّه إليها بعددٍ منهم ، ووجه معهم رَوْحَ بن زِنْبَاع ، فأبلغها رَوْح الرسالة فقالت : يا رَوْح ، بنيَّ في غِنًى عن مالي بأبيهم وموضعهم من الخلافة ، ولكني أُشهدكم أني قد أوقفتُ جميعَ مالي على آلِ أبي سفيان ، فهم إلى ذلك أحوج لتغيُّرِ حالهم . فخرج رَوْح وقد تغيَّر

---

(١) ناشت به : تعلقت به . اللسان .

(٢) هو كثير عزَّة ، والخبر في الأغاني ٣٥/٨ والأخبار الموفقيات ص ٥٤٥ ، ٥٤٦ والبيتان في ديوانه ص ٢٤٢ .

لونه ، فقال له عبد الملك : ما لك ؟ قال : وجَّهتني إلى معاوية جالس في أثوابه ! وأخبره الخبر .

قال ابن جُندب :

استأذنَتِ ابنةُ يزيدَ بنِ معاوية عبدَ الملكِ بن مروان في الحجّ ، فأذِن لها وقال : ارفعي حوائجك [٧٥/آ] واستظهري ، فإنَّ عائشةَ بنت طلحة تحجّ ، وإنْ أقمتِ كان أحبَّ إليّ . فأبَتْ ، فرفعَتْ حوائجها وتهيَّأتْ ، فجهَّزها ، فلما كانت بين مكة والمدينة أقبل ركبٌ في جماعة فضعضعها وفرَّق جماعتها ، فقالوا : عائشة بنت طلحة ، فإذا ذلك مع جاريةٍ من جواريها ، ثم جاء ركبٌ في موكبٍ مثله ، فقال : ما شطتها ، ثم جاء موكبٌ أعظم من ذلك في ثلاث مئة راحلة ، فقالت عاتكة : ما عند الله خيرٌ وأبقى .

قالوا : إنَّ عاتكة بقيت حتى أدركتْ قتل [ابن][1] ابنها الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

٥٤ ـ عائشة بنت طلحة بن عُبيد الله

ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة

أمُّ عمرانَ التيميَّة ، وأمُّها أمُّ كلثوم بنت أبي بكر الصديق

امرأةٌ جليلة تحدَّث الناس عنها بقَدْرها وأدبها ، ووفدَتْ على عبد الملك بن مروان وعلى هشام بن عبد الملك .

حدثت عن عائشة زوج النبيِّ ﷺ [قالت][2] :

جاءت الأنصار بصبيٍّ لهم إلى النبيِّ ﷺ فقلت ـ أو [قيل ـ : هنيئاً له] يا رسولَ الله ! لم يعمل شرًّا قط ولم يدركه ، عصفورٌ من عصافير الجنة . قال : [أو غير ذلك] إنَّ الله

---

(١) ما بين معقوفين من التاريخ .

(٢) ما يرد بين معقوفين في هذا الخبر مطموس في الأصل فاستدركته من التاريخ .

خلق الجنة وخلق لها أهلاً ، وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم .

لما وفدت عائشةُ بنت طلحة على عبد الملك وأرادت الحجَّ حملها وأحشامَها على ستين بغلاً من بغال الملوك ، فقال عروة بن الزبير :

يا عيشُ يا ذات البغالِ الستينْ أكلُّ عامٍ هكذا تَحُجِّينْ

تزوَّجها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، ثم خلف عليها مصعبُ بن الزبير بن العوَّام فقُتل عنها ، فخلف عليها عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان التيمي .

قال أنس بن مالك لعائشة بنت طلحة :

والله ما رأيتُ أحسن منكِ إلاَّ معاوية على منبر رسولِ الله ﷺ . فقالت : والله لأنا أحسن من النار في عين المقرور في الليلة القارَّة .

[٧٥/ب] قال أنس بن مالك :

دخلتُ على عائشة بنت طلحة في حاجة ، فقلت : إنَّ القوم يريدون أن يدخلوا إليكِ فينظروا إلى حسنك ، قالت : أفلا قلتَ لي فألبسَ ثيابي ! وكانت من أحسن الناس في زمانها .

قال إسحاق بن طلحة دخلتُ على أمِّ المؤمنين وعندها عائشةُ بنت طلحة وهي تقول لأُمِّها أمِّ كلثوم بنت أبي بكر : أنا خيرٌ منك ، وأبي خيرٌ من أبيك . قال : فجعلت أمُّها تسبُّها وتقول : أنتِ خيرٌ مني ! قال : فقالت عائشة زوجُ النبيِّ ﷺ : ألا أقضي بينكما[1] ؟ قالتا : بلى ، قالت : فإنَّ أبا بكر دخل على رسولِ الله ﷺ فقال له : يا أبا بكر ! أنتَ عَتيقُ اللهِ من النار . فمن يومئذٍ سُمِّي عَتيقاً . قالت : ودخل طلحةُ بن عُبيد الله عليه فقال : أنت يا طلحة مِمَّنْ قضى نحبه .

حدَّثتْ عائشةُ بنتُ طلحة أنها كانت عند عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها ، فدخل

---

(١) في الأصل : « بينهما » وما أثبتُّه من التاريخ .

عليها زوجها هنالك وهو صائم ، فقالت له عائشة : ما يمنعك أن تدنوَ من أهلك فتقبّلَها وتلاعبها ؟ فقال : أقبلها وأنا صائم ؟ فقالت : نعم .

قالت عائشةُ بنت طلحة :

سافرتُ إلى مكة في العُمْرَة ، فلقِيتُ عائشة أمَّ المؤمنين فقالت لي : مالي أراكِ شعِثة سيِّئة الهيئة ! قالت : أسقطتُ سقْطاً ـ أو ولدتُ ولداً ـ ولم أغتسلْ بعد . قالت : اغتسلي وادَّهني وتطيَّبي ، فإنه قد حلَّ لك كلُّ شيءٍ إلا زوجَك .

حدث ابنُ عيّاش

أن عائشة بنت طلحة كانت عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وكان أبا عُذْرتها ، ثم هلك ، فتزوَّجها مُصعَبُ بن الزبير فقُتل عنها ، فتزوجها عمر بن عُبيد الله بن معمر حيث وجَّهه عبد الملك من الشام إلى أبي فُدَيك ، وأمره أن ينتخب من أهل الكوفة ستة آلاف ومن أهل البصرة ستة آلاف فبنى بها في الحِيرَة .

قال ابن عياش : فحدثني مَنْ شهد عُرْسَه تلك الليلة أنه مُهِّدتْ له فَرشٌ لم أر مثلها ، سبعة أذرع في عرض أربعة أذرع .قال : فانصرف تلك الليلة عن سبع مراتٍ . [٧٦/آ] قال : فلَقِيَتْهُ مولاةٌ لها حيث أصبح فقالت له : أبا حفص فديتك كَمُلْتَ في كلِّ شيءٍ حتى في هذا !

فلمَّا مات ناحَتْ عليه قائمةٌ ولم تَنُحْ على أحدٍ منهم قائمةٌ غيره . وكانت العرب إذا ناحتِ المرأةُ على زوجها قائمة علموا أنها لا تتزوَّج بعده . فقيل لها : يا عائشة ! والله ما صنعتِ هذا بأحدٍ من أزواجك ! فقالت : إنه كان فيه خلالٌ ثلاث ، لم تكنْ في واحدٍ منهم : كان سيِّدَ بني تَيْم[1]، وكان أقرب القوم ، وأردتُ أن لا أتزوَّج بعده أبداً . قال : فعلم أنها كانت تؤثِرُه على غيره .

قال إسحاق :

دخلتُ على عائشة بنت طلحة ، وكانت لا تحتجبُ من الرجال ، تجلس وتأذَنُ كما يأذن الرجل ، فلقد رأيتُني دخلتُ عليها وهي مُتّكئة ، ولو أنَّ بعيراً أُنيخ وراءها مارُئي .

---

(١) في الأصل : « تميم » وما أثبتُّه من جمهرة أنساب العرب ص ١٤٠ والتاريخ .

قال ابن إسحاق : فتزوّجها مصعبُ بن الزّبير على مئة ألف دينار ، ثم تزوّجها ابن عمّها عمر بن عُبيد الله ، فأصدقها مئة ألف دينار .

حدث الشعبي :

دخلتُ المسجد باكراً فإذا أنا بمصعب بن الزبير على سرير جالساً والناسُ عنده ، فجلست ، وذهبتُ لأنصرف فقال : ادْنُ ، فدنَوْت[1] فقال : إذا قمتُ فاتبعني ، فجلستُ مليًّا ، ثم نهض فتوجّه نحو دارِ موسى بن طلحة ، وتبعتُه ، فلمّا طَعَن في الدار[2] التفت إليَّ فقال : ادخلْ ، ومضى نحو حُجَره ، وتبعتُه ، فالتفتَ إليَّ فقال : ادخلْ ، فدخلت فدخل صُفَّتَه ، فدخلتُ معه فإذا حَجَلة[3] ، وإنها لأوّلُ حَجَلةٍ رأيتُها لأمير ، فقمتُ ودخل الحجلة ، فسمعتُ حركة ، فكرهتُ الجلوس ولم يأمُرْني بالانصراف ولا الجلوس ، فإذا جاريةٌ قد جاءت فقالت : يا شعبي ؛ يأمرُك الأميرُ أنْ تجلس ، فجلستُ على وسادة ، ورفع سجْفَ الحَجَلة ، فإذا أجمل الناس ! فلم أر زوجاً قطُّ أجملَ منها ! مصعب وعائشة بنت طلحة ، فقال : يا شعبي أتعرفُ هذه ؟ قلتُ : نعم ، هذه سيِّدةُ نساء العالمين عائشة بنت طلحة . قال : لا ، ولكنْ هذه ليلى ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

وما زلتُ في ليلى لَدُن طرَّ شاربي ... إلى اليوم أُخْفي حُبَّها وأداجنُ
وأحملُ في ليلى لقومٍ ضَغِينَةً ... وتَحمِلُ في ليلى عليَّ الضغائنُ[4]

[٧٦/ب] إذا شئت يا شعبي، قال[5] : فقمت ، ثم رجعنا إلى المسجد ، فإذا مصعب جالس على سرير ، فسلَّمتُ فقال : ادنُ ، فدنوت ، ثم قال : ادنُ ، فدنوتُ حتى وضعت يدي على مرافقه فأصغى إليَّ فقال : هل رأيتَ مثل ذلك الإنسان قطّ ؟ قلتُ : لا والله ، قال : أتدري لمَ أدخلناك ؟ قلت : لا ، قال لتحدِّث بما رأيت . ثم التفت إلى عبد الله بن أبي

---

(١) في التاريخ : « فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه فقال : إذا قمت ... » ومرافقه : جمع مرفقة ، وهي المخدة أو ما يتكأ عليه . انظر التاريخ (تراجم النساء) ص ٢١٤ .

(٢) طعن في الدار : دخل فيها . اللسان (طعن) .

(٣) الحجلة : للعروس ، بيت مثل القبة ، يُزَيَّن بالثياب والأسِرَّة والستور . اللسان (حجل) .

(٤) البيتان لكثيرة عزة ، وهما في ديوانه ص ٢٨١ والخبر في الأغاني ١٣٧/٢ ، ١٣٨ ط بولاق ونوادر المخطوطات ٧١/١ .

(٥) في الأغاني ١٣٨/٢ ط بولاق : « إذا شئت يا شعبي فقم . قال : فقمت ... » .

فَرْوَة فقال : أعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً . قال : فما انصرف أحدٌ يومئذٍ بما انصرفتْ به ، عشرةُ آلافِ درهم ومثلُ كارَةِ القصارِ ثياباً[1] ، ونظَرَ إلى عائشة ! .

وفي رواية : فقالت عائشة : ينصرفُ هكذا وقد رآني ! فأمَر لي بحُقٍّ مليء[2] وثياب .

وفي رواية : ثم قال : يا شعبي إنها اشتهَتْ عليَّ حديثك فحادثْتها ، فخرج وتركها ، فجعلتُ أُنشِدُها وتُنشدني ، وأحدِّثها وتحدِّثني حتى أنشدتُها قول قيس بن ذَرِيح :

[من الطويل]

ألا يا غرابَ البَيْنِ قد طِرْتَ بالذي ... أُحاذِرُ من لُبنى فهل أنت واقعُ
أتبكي على لُبْنى وأنتَ تركتها ... فقد هلكَتْ لُبْنى فما أنت صانعُ[3]

قال : فلقد رأيتُها وفي يدها غرابٌ تنتفُ ريشه ، وتضربه بقضيبٍ وتقول له : يا مشؤوم ! .

وجَّه مصعبُ بن الزبير إلى عزَّة المدينيَّة ـ وكانت من أعقل النساء ـ فأتَتْهُ فقال لها : يا عزَّة ! قد عزمتُ على تزويج عائشةَ بنت طلحة ، وأنا أحبُّ أن تصيري إليها متأمِّلةً لخلقةٍ[4] مؤدِّية لخبرها إليَّ . فقالت : يا جارية ، عليَّ بمِنْقَلي[5] ، فلبسَتْهُ ثم صارت إلى منزل عائشة ، فلما دخلَتْ عليها قالت عائشة : مرحباً بالحبيبة ، كيف نشطتِ لنا ؟ قالت : جئتُ في حاجة ، قالت : إذاً تُقْضَى ، قالت : ارمي عنكِ جِلْبَابَك ، قالت : إذاً أفعل ، ففعلت ، ثم قالت لها : أعوذُك بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ، الله جارك ، ثم رجعَتْ إلى مصعب فقال : ما الخبرُ يا عزَّة ؟ قالت : رأيتُ وجهاً أحسن من العافية ، ولها عينانِ نجلاوان ، وإنْ هما مَسْكَنَ هاروتَ وماروت ، من تحت ذلك أنفٌ أقنى ، وخدَّان أسيلان [٧٧/آ] وفَمٌ كفمِ الرُّمّانة ، وعنقٌ كإبريق فضة ، تحت ذلك صدرٌ فيه حُقّا عاجٍ ، تحت ذلك

---

(١) الكارة : ما يُجمع ويشد على الظهر من الثياب . اللسان (كور) .

(٢) في التاريخ (تراجم النساء) ص ٢١٤ : « بحق حُلِيّ » . والحق : وعاء صغير ذو غطاء يتخذ من عاج أو خشب أو زجاج . القاموس والمعجم الوسيط (حقق) .

(٣) البيتان من قصيدة في الأغاني ١٣٢/٨ ط بولاق ومجالس ثعلب ص ٢٤٠ وأمالي القالي ٢١٧/٢ على خلاف في الرواية .

(٤) في التاريخ (تراجم النساء) : « لخلقتها » .

(٥) المنقل : الخف .

بطن أقبّ ، ولها عَجُزٌ كدِعْصِ الرَّمْل ، وفخذان لفّاوان ، وساقان ريّاوان ، غير أني رأيتُ في رجليها كِبَراً[1] ، وهي تغيبُ عنك في وقت الحاجة .

فلمّا تزوّجها مصعب ودخل بها دعت عائشة عزّة ونسواناً من قريش ، فلما أصْبَنَ من طعامها غَنَّتْهُنَّ ومصعب قائم في دِهْليز الدار : [من المتقارب]

وثَغْرٌ أغرُّ شَتِيتُ النبـــاتِ لـــذيـــذ المقبّـل والمبتسَمْ
ومـــا ذقتُـــه غير ظني بـــه وبـالظنّ يحكُم فينـا الحكَمْ[2]

فقال معصب وهو في الدِّهْليز : بارك الله عليك يا عزّة ، لكنّا والله قد ذقناهُ فوجدناه كما ذكرت .

كان مصعب بن الزبير ـ وهو على العراق ـ كثيراً ما يولع بقصيدة جميل بن معمر العُذْريّ ، وبهذا البيت خاصة : [من البسيط]

ما أنس لا أنس منهـا نظرةً سلفَتْ بـالحِجْر يـومَ جَلَتْهـا أمُّ منظـورِ[3]

فقال مصعب : أفلا تجلين عائشة بنت طلحة عليَّ كما جليتها ؟ قالت : هيهات ! هي بين يديك في كلّ ساعة وفي كل وقت ، قال : فإنها من أشكسِ خلق الله خُلقاً ، فتصلحينَ بيني وبينها ، لقد بلغ من شكَاسَتها أني بعثتُ إليها أترضّاها وبعثتُ إليها بأربع مئة ألف درهم فرَدَّتْها عليَّ وشتَمتِ الرسول . فدخلَتْ عليها أمُّ منظور ثم قالت : مثلك في شَرَفك وقَدْرك في نفسك ، يُنْسَبُ إليكِ هذا الخُلق وهذا الفعَال الذي لا يشبهك ! تُحْوِجين زوجك إلى هذا ! فسكتت عائشة فلم تردَّ عليها ؛ وقالت أمُّ منظور لمصعب : قد كلَّمتُها لك فسكتت ، ورضاها صَمْتُها . ودخل مصعب ، فلما رأتْهُ أمرت بالباب فأغلق في وجهه ، فكسر الباب ودخل ، فتنازعا ، فضربها وضربَتْه ، فأصلحت بينهما أمُّ منظور ، فقال مصعب لعائشة : هذه أربع مئة ألف قد حضرت ، وإلى أيام يأتينا مثلها ندفعها إليك ، فأمرَتْ عائشة بدفع

---

(١) في نوادر المخطوطات ٧١/١ : « في قدمها عِظَم » .

(٢) البيتان من الشعر المنسوب لامرئ القيس وهما في ملحق ديوانه ص ٤٧٥ على خلاف يسير في الرواية .

(٣) البيت في ديوانه ص ١١٠ والخبر فيه بغير هذا السياق منقول عن الأغاني ٨٨/٧ ، ٨٩ ط بولاق .

الأربع[1] مئة ألف المعجّلة إلى أمّ منظور .

[٧٧/ب] قال ابن وَدَاع[2] الورّاق :

مر بلبل[3] المجنون يوماً فجلس إليّ ونظر في بعض الكتب التي كانت بين يديه فمر به أبيات فيها : [من الطويل]

ويهتجرُ الأيـــــامَ ثم يردُّنـــــا إلى الـوصلِ أنّـا لم يكنْ بيننـا ذَحْـلُ

فقال لي : أتعرفُ مَنْ تمثّل بهذا البيت في بعض الأمر ؟ قلت : لا ، قال : كانت عائشة بنت طلحة تحت مصعب بن الزبير ، فعَتَبَتْ عليه بسبب بعض جواريه فهجرَتْه ، فبلغ ذلك منه وانفتق عليه فَتْقٌ بالبصرة فثار إليه ، فرتقه ورجع ، فقالت لها أمُّ حبيبة امرأةُ أبي فَرْوَة : لو صرتِ إلى الأمير فأهديتِ إليه التهنئةَ بظَفَره لَسرَّهُ ذلك . فقامت نحوه ، فلما رآها مصعب قال لها : مرحباً بالغضبانِ العاتب وأنشد :

ويهتجر الأيـــــامَ ثم يردُّنـــــا إلى الـوَصْلِ أنّـا لم يكنْ بيننـا ذَحْـلُ

فقالت : والله لولا التهنئة لطال الإعْراض . ثم أهوتْ إليه فعانقَتْهُ فقال : معذرةٌ من سَهَكِ الحديد[4] ، فقالت : أوَذنبٌ ذاك ؟ لَهُو أطيبُ من ريح المسك . ثم قالت : أفلح الوَجْهُ وعلا العَقِب ولْيَهْنِكَ الظَّفَر ! يا جواريَّ أرخينَ الستور وانصرفْنَ . فخلَوَا لشأنها . قال ابن وَدَاع[2] : فكتبتُ هذا ولم ألبَثْ أنْ مرَّ بنا غلام الطاهري ، فأقبل عليَّ فقال : [من الطويل]

بحـقِّ الهـوى إنْ كنتَ مِمَّنْ يُحبُّـــه تُحِبُّ[5] غُـلامَ الطـاهريِّ المُقَرْطَقـا[6]

---

(١) كذا بتعريف العدد ، وهو جائز على قبحه . انظر شرح الكافية ٢٧٧/١ والنحو الوافي ٤٣٨/١ . وعليه قول ابن عباس : « ثم قرأ العشر آيات » في رواية صحيح البخاري ٥٨/١ باب استعانة اليد في الصلاة .

(٢) كذا ضبط في « تراجم شهيرات النساء » (ل ٣٦) ضبط قلم ، وفي التاريخ (تراجم النساء) : « وادع » في الموضعين .

(٣) في الأصل « ليلى » وفي الحدائق الغناء ص ٦٦ وتراجم شهيرات النساء ل ٣٦ : « مليل » ، والمثبت من التاريخ (تراجم النساء) .

(٤) أراد قبح رائحة صدأ الحديد .

(٥) في تراجم شهيرات النساء (ل ٣٦) : « حبَّ » .

(٦) المقرطق : لابس القُرْطُق (كجندب) وهو ثوب معروف ، تعريب (كُرْتَه) . وإبدال الهاء في الأسماء المعربة كثير . التاج (قرطق) . والبيت في الأصل مهمل الحروف سوى القاف الأخيرة .

فإنْ قلتَ لي : لا ، كُنتَ كالشاهِ خَيْبَةً[1] وإنْ قلتَ : إيهاً ، كنتَ عندي الموفَّقا

وقام يسرع السعيَ خلفه ثم نادى : الشاه بن ميكال الشاه بن ميكال ! فأثبت البيتين ، ولم أعرف آخر خبره .

كتب أبانُ بن سعيد إلى أخيه يحيى بن سعيد ، يخطبُ عليه عائشة بنت طلحة ، فنعل ، فقالت ليحيى : [ما][2] أنزلَ أبانُ أَيْلَة ؟ قال : أراد رخص سعرها وأراد العُزْلة ، فقالت : اكتُبْ إليه عني : [من الطويل]

[٧٨/آ] حَلَلْتَ محلَّ الضبِّ لا أنت ضائرٌ عدواً ولا مستنفعٌ بك نافعُ[3]

وردَّتْه .

٥٥ ـ عبدة بنت أحمد بن عطيَّة العَنْسيَّة

أخت أبي سليمان الدَّاراني

من المتعبِّدات .

قال أحمد بن أبي الحواريّ : سمعتُ أبا سليمان الدارانيّ يقول :

إني لأمرضُ ، فأعرفُ الذنبَ الذي أمرض به ، أصابني مرضٌ لم أعرف له سبباً ! قال : فدخلتْ عليَّ أختي فقلت لها : دعوتِ الله أنْ يُسلِّط عليَّ المرض ؟ قالت : نعم . قال : لو لم أجدْ إلاَّ أنْ أعترض على الحمار لم أدَعِ الحجّ . قال أحمد : فخرج إلى الحج .

زاد في آخر : فخرجتُ فما زلتُ عليلاً .

---

(١) الكلمة في الأصل وسائر كلمات البيت مهملة ، وإلى جانبه حرف (ط) إشارة إلى عدم اطمئنان المختصِر إليه ، والكلمة في التاريخ (د) و (س) : « خبثه » وفي الحدائق الغناء وتراجم شهيرات النساء (ل ٣٧) : « خسَّة » وأثبتُّ ما اهتديتُ إليه في قراءته . والله أعلم بالصواب .

(٢) من التاريخ (تراجم النساء) ص ٢١٩ .

(٣) كذا ورد الخبر في الأغاني ٦٢/١٠ ط بولاق . وعزاه الجاحظ لعائشة بنت عثمان حين خطبها أبان بن سعيد . انظر البيان والتبيين ٣٠٠/٣ ، ٣٠١ والحيوان ١٠٤/٦ ، ١٠٥ وفيه : « ولا مستنفعاً أنت نافع » رواية إحدى النسخ ، وقال محققه : « صوابه بالنصب على المفعولية » .

قال أبو سليمان :

وُصفَتْ لأختي عبدةَ قنطرةٌ من قناطر جهنَّم ، فأقامَتْ يوماً وليلةً في صيحةٍ واحدة ما سكتتْ ، ثم انقطع عنها بعد ، فكلما ذُكرتْ لها صاحَتْ صيحةً واحدة ثم سكتت . قلت : من أيِّ شيءٍ كان صياحها ؟ قال مثَّلَتْ نفسها على القنطرة وهي تُكفَأُ بها .

٥٦ ـ عَبْدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية

ابن أبي سفيان بن حَرْب ، زوجُ هشام بن عبد الملك

وعبدة هي المذبوحة ، ذُبحتْ أيام عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس . ولها يقول عمرو بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص حين أخذتْ أمُّها أمُّ موسى بنت عمرو بن سعيد دِرْعَ عبدة بنت عبد الله : [من السريع]

يا عَبْدَ لا تأسَيْ على بُعْدِها ... فالبُعْدُ خيرٌ لكِ من قُرْبِها
لا بارك الرحمنُ في عمِّتي ... ما أبعدَ الإيمانَ من قَلْبِها

كانت عَبْدَةُ بنت عبد الله عند هشام بن عبد الملك ، وكانت من أجمل النساء ، فدخل عليها يوماً وعليها ثيابٌ سودٌ رقاق ، من هذه التي يلبسها [٧٨/ب] النصارى يوم عيدهم ، فلأتْهُ سروراً حين نظر إليها ، ثم تأمَّلَها فقطَّب ، فقطَّبَتْ[1] فقالت : مالك يا أمير المؤمنين ! أكرهتَ هذه ؟ ألبَسُ غيرها ؟ قال : لا ، ولكنْ رأيتُ هذه الشامَةَ التي على كَشْحِكِ من فوق الثياب ، وبك تُذْبَحُ النساء ـ وكانت بها شامةٌ في ذلك الموضع ـ أمَا إنهم سينزلونَكِ عن بغلةٍ شهباءَ وَرْدَة ـ يعني بني العباس ـ ثم يذبحونك ذبحاً .

قوله : تُذبح بكِ النساء . يعني إذا كانت دولةٌ لأهلك ذبحوا بكِ من نساء القوم الذين ذبحوك . فأخذها عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس ، فكان معها من الجوهر مالا يُدرى ما هو ، ومعها دِرْع ياقيت وجوهر منسوجٌ بالذهب ، فأخذ ما كان معها وخلَّى سبيلها . فقالت في الظلمة : أيُّ دابَّةٍ تحتي ؟ قيل لها : دَهْماء ـ لظلمة الليل ـ فقالت :

---

(١) كذا الأصل ، وفي التاريخ (تراجم النساء) : « فقطنت » .

نجوتُ . قال : فأقبلوا على عبد الله بن علي فقالوا : ما صنعتَ أدْنى ما يكون ، يبعث أبو جعفر إليها فتخبره بما أخذتَ منها فيأخذَهُ منك ، اقتُلْها . فبعث في إثْرها وأضاء الصبح ، فإذا تحتها بغلةٌ شهباء وَرْدة ؛ فلحقها الرسول فقالت : مَهْ ؟ قال : أُمرنا بقتلك ، قالت : هذا أهون عليَّ . فنزلتْ فشدَّتْ دِرْعَها من تحت قدميها وكُمَّيْها على أطراف أصابعها وخمارها ، فما رُئي من جسدها شيء . والذي لحقها مولًى لآل العباس .

قال ابنُ عائشة : فرأيتُ مَنْ يدخل دُورنا يطلب اليواقيت للمهدي ليتمَّ به تلك الدرع التي[1] أُخذتْ منها . وإنما كانت بَدَناً[2] تغطِّي المرأة إذا قعدت .

ولما دخلتِ البصرةَ الزنج دخلوا دار جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس فجاؤوا إلى بنته آمنة وهي عجوز كبيرة قد بلغت تسعين سنة ، فلما رأتْهم قالت : اذهبوا بي إليه ، فإنه ابن خال جدَّتي أُمِّ الحسن بنت جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي . قالوا : بك أُمرنا . فقتلوها .

قال أحمد بن إبراهيم :

كانت عَبْدَةُ [٧٩/أ] ابنة عبد الله الأُسْوار بن يزيد بن معاوية عند يزيد بن عبد الملك ، ثم خلف عليها هشام ، وكانت من أحبِّ الناس إليه ، وكانت حولاء جميلةً ، فقبض عليها عبد الله بن علي بحمص ودفعها إلى الكابلي[3] وقال له : اذهب بها فاذْبَحْها . فلما ضرب بيده إليها أنشأتْ تقول متمثِّلةً بشعر خالِ الفرزدق[4] : [من الوافر]

إذا جرَّ الزمانُ على أناسٍ كلاكِلَهُ أناخ بآخرينا

---

(١) في الأصل : « الذي » سهو أو سبق قلم وأثبتُّ ما في التاريخ (تراجم النساء) . والدرع تذكر وتؤنث .

(٢) البَدَن : الدرع القصيرة على قدر الجسد ، أو شبه دِرْعٍ إلا أنه قصير قدر ما يكون على الجسد فقط ، قصير الكمين . اللسان (بدن) . وقد سقطت اللفظة من التاريخ (تراجم النساء) .

(٣) في الأصل بدون نقطة تحت الباء ، وأثبتها قياساً على ما أثبته المختصر بعد أسطر . وفي التاريخ (تراجم النساء) : « الكاملي » وهي نسخة (د) أما (س) ففيه : « الكائلي » .

(٤) وهو العلاء بن قرظة كما في الأغاني ٣٩٦/٢١ ط دار الكتب ، ونُسبا للفرزدق أيضاً في عيون الأخبار ١١٤/٣ . وتكاد تجمع المصادر على أنها من قصيدة لفروة بن مسيك الصحابي ، قالها يوم الرُّزْم قبيل الإسلام . انظر سيرة ابن هشام ٥٨١/٢ ، ٥٨٢ وتاريخ الطبري ١٣٤/٣ وخزانة الأدب ١٢٢/٢ وشرح أبيات مغني اللبيب ١٠٢/١ ورغبة الآمل ١٠/٤ .

فَقُلْ للشامتينَ بنا أفيقُوا سيلقى الشامتونَ كما لَقِينا

فقال لها : يا خبيثة ! أتدرين لمَ أقتلك ؟ قالت : لا ، قال : إنما أقتلك بامرأةِ زيد بنِ علي . فذهب بها الكابلي فذبحها بخَربةٍ بحمص . فيقال إنَّ السفيانيَّ يخرجُ ثائراً بها .

قال أبو القاسم : هكذا أنشدنا هذين البيتين في هذا الخبر ، والذي أنشده أبو بكر بن السرَّاج عن المبرِّد : [من الوافر]

فإنْ نغلِبْ فغلاَّبونَ قِدْماً وإنْ نُغلَبْ فغيرُ مغلَّبينا
ومَا إنْ طِبُّنا جُبْنٌ ولكنْ منايانا ودَوْلةُ آخرينا
فقُلْ للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لَقِينا

٥٧ ـ عُتْبَة المَدنيَّة

كان لها في الغناء ذكر .

لَمَّا ولي الوليد بن يزيد الخلافة أمر بأنْ تُخرجَ إليه فأُخرجت ، فلما قدمت دعا بها وجمع نُدَمَاءَهُ والمغنين ، فلمَّا رأتْ كثرةَ من حضر ممن يغنِّي قالت : يا أمير المؤمنين ! قد دعوت بي فاسمعْ ما عندي ، فإنْ أعجبك فاصرف هؤلاء واستمتع بما سمعتَهُ مني ، وإنْ لم يُعجبْكَ فاصرفني وأقبلْ عليهم . فقال لها : هاتي فقد أنصفت في القول فقالت : [من الطويل]

يقولونَ من طولِ اعتلالِكَ بالقذى أجِدَّكَ ما تلقى لعينيك شافيا[1] ؟
بلى إنَّ بالجزْعِ الذي يُنْبِتُ الغَضى لعينيَّ لو لاقيتُهُ لَمُداويا
[٧٩/ب] وأقبلْنَ من أقصى الخيامِ يَعُدْنني بقيَّة ما أبْقَيْنَ نَصْلاً يمانيا
يَعُدْنَ مريضاً هُنَّ هيَّجْنَ داءَهُ ألاَ إنما بعضُ العوائدِ دائيا

(١) أجدَّك : أي أجدًّا منك ؟ يستحلفه بجِدِّه وحقيقته ، وهو منصوب على المصدر . اللسان (جدد) .

تجمَّعن شتّى من ثـــلاثٍ وأربـــعٍ وواحـــدةٍ حتى كَمَلْنَ ثمـــانيـــا[1]

فقال لها : أحسنتِ ، ما نريد مزيداً عليك ! وصرف المغنّينَ واقتصر عليها يومئذ .

٥٨ ـ عُرَيْب[2] المأمونيَّة

قيل : إنها ابنة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي . لمّا انتهتْ دولةُ البرامكة سُرقت صغيرةً وبيعَتْ ، واشتراها الأمين ، ثم اشتراها المأمون . وكانت شاعرةً مُجيدة ، ومغنّيةً محسنة . وقدِمَتْ دمشق مع المأمون .

قال حمّاد بن إسحاق : قال أبي :

ما رأيتُ امرأة قط أحسنَ وجهاً وأدباً وغناءً وصوتاً[3] وشعراً ولَعِباً بالشطرنج والنَّرْد من عُريب ! وما تشاء أن تجد خصلةً حسنة ظريفة بارعة في امرأةٍ إلاّ وجدتها فيها .

قال علي بن يحيى المنجّم :

خرجتُ من حضرة المعتمد فصرتُ إلى عُريب ، فلما قربتُ من دارها أصابني مطر بلّ ثيابي فأمَرتْ بأخذ ثيابي عني وأتتْني بخلعةٍ فلبستُها وأُحضرنا الطعام فأكلنا ، ودعَتْ بالنبيذ ، وأخرجَتْ جواريَها ثم سألَتْني عن خبر الخليفة في أمس ذلك اليوم وشُرْبه ، وأيّ شيءٍ كان صوتُه ، وعلى مَنْ كان ، فأخبرتُها أنّ بُناناً غنّاه : [من مجزوء الوافر]

وذي كَلَفٍ بكى جـــزعـــاً وسَفْرُ القـــومِ مُنْطَلِـــقُ
بـــه قلَـــقٌ يُمَلْمِلُـــهُ وكان ومـــا بـــهِ قَلَـــقُ

---

(١) الأبيات الثلاثة الأخيرة لسحيم عبد بني الحَسْحاس ، وهي في ديوانه ص ٢٣ من قصيدة له مشهورة . والأبيات موجودة أيضاً في ديوان مجنون ليلى ص ٣١٢ .

(٢) ضُبط في الأغاني ط دار الكتب ٥٤/٢١ ونهاية الأرب ٩٥/٥ بفتح فكسْر ، ضبط قلم ، وما أثبتُّه من مشتبه النسبة ص ٤٥٥ وتبصير المنتبه ص ٩٤٣ ، وهو موافق للتاريخ (د) في أكثر من موضع ، والأغاني في طبعة ليدن ١٨٤/٢١ والمحاسن والأضداد للجاحظ ص ١٩٩ ط ليدن . فلعل عُريب مُرَخَّم عَرُوب ، وهي الحسناء المتحببة لزوجها أو العاشق الغَلِمة . انظر التاج (عرب) .

(٣) في التاريخ (تراجم النساء) : « وضرباً » .

جـــوارحُـــــهُ على خَطَرٍ بنـــــارِ الشـــوق تحترقُ
جفـونٌ حَشْـوُهـــا الأرَقُ تجـــافى ثم تنطَبِـــقُ[1]

فأمَرتْ بإحضار بُنانٍ فحضر ، وقُدِّم إليه طعام ، فأكل وشرب ، وأُتي بعود ، فلمَّا شرب اقترحَتْ عليه الصوت فغنَّاه ، فأخذَتْ دواةً ودَرْجاً وكتبَتْ [من مجزوء الوافر]

[٨٠/أ] أجـاب الـوابِـلُ الغَـدِقُ وصـــاح النَّرْجِسُ الغرِقُ
فهـــاتِ الكأسَ مترعـــةً كأنَّ حبَـابَهـا حـــدَقُ
تكادُ لنـــور بهجتـــهِ حـــواشي الكأسِ تحترقُ
فقـــد غنَّى بُنَـــانُ لنـــا « جفـونٌ حَشْـوهـا الأرَقُ »

فعدل بُنان بلحن الصوت إلى شعرها ، وغنَّانا فيه بقيَّةَ يومنا .

كتبَتْ عُريب إلى محمد بن حامد الذي كانت تحبُّه تستزيرُه ، فكتب إليها : إني أخافُ على نفسي من المأمون فكتبت إليه : [من المتقارب]

إذا كنت تحـذَرُ مـا تحـذَرُ وتـــزعمُ أنَّـــكَ لا تجسَرُ
فـــالي أقيمُ على صَبْـــوَتي ويـوم لقـائـكَ لا يُقـدَرُ[2]

فكتب إليها محمد بن حامد يعاتبها على شيءٍ بلغَهُ عنها ، فاعتذرتْ إليه فلم يقبَلْ عُذْرَها فكتبت إليه : [من المتقارب]

تبيَّنْتَ عُـذْري فـا تعـذِرُ وأبليتَ جسمي ومـــا تشعُرُ
أَلِفْتَ السرورَ وخلَّيتَني ودمعي من العينِ مـــا يَفْتُرُ

فقبِلَ عذرها وصار إليها .

دخلَتْ بعضُ جواري المتوكِّل على عريب فقالت لها : تعالَيْ ويحك قبِّلي هـذا الموضعَ مني ، فإنكِ ستجدين ريح الجنَّةِ منه ، وأومأَتْ إلى سالفتها ، ففعلت وقالت : ما السببُ في هذا ؟ فقالت : قبَّلني الساعة صالح المنذري في هذا الموضع .

---

(١) الأبيات في الأغاني ١٨٧/١٨ ، ١٨٨ ط بولاق ، والخبر بغير هذا السياق . وكذا في نهاية الأرب ١١١/٥ .

(٢) الخبر والشعر في الأغاني ١٩١/١٨ ط بولاق .

كان المعتصم يطرق عُريباً[1] كثيراً ، فشُغل أيّاماً عنها ، وكانَتْ تتعشّقُ فتى ، فأحضرَتْه ذات يوم ، وقعدَتْ تسقيه وتشربُ معه وتغنّيه ، إذ أقبل المعتصم ، فأدخلَتْه بعضَ المجالس ، ووافى المعتصم فرأى من الآلة والزّيّ ما أنكره ! وقال لها : عُريب ! ما هذا ؟ قالت : جفاني أميرُ المؤمنين هذه الأيام واشتدّ شوقي إليه ، وعِيلَ صبري فمثّلْتُ مجلسَ أمير المؤمنين إذا طرقني وأحضرتُ من الآلة ما [كنت][2] [٨٠/ب] أُحضِرُهُ إذا زارني وأكرمني ، ونصبتُ له شرابَهُ بين يديه كما كنتُ أفعل ، وجعلتُ شرابي بين يدي كما كنتُ أصنع ، ثم غنّيتُ لأمير المؤمنين صوتَه ، وشربتُ كأسه ، وغنّيتُ صوتي وشربت كأسي ؛ فهذه حالي إلى أنْ دخل أمير المؤمنين ، فصحّ فألي . فقعد المعتصم وشرب وفرح وسكر ، فلما انصرف أخرجَتِ الفتى ، فما زالا في أمرها إلى الصّبح .

قال عبد الله بن المعتز :

وقَعتْ إليّ رقاعٌ لِعُريب ، مكاتبات منثورة ومنظومة ، فقرأتُ رقعةً منها إلى المأمون وقد خرج إلى فَمِ الصّلْح[3] ، لِزفاف بُوران : [من السريع]

اِنْعَمْ تخطّتْكَ صروفُ الردى ... بقُرْبِ بُورانَ مدى الدّهْرِ
دُرّةُ خِدْرٍ لم يزلْ نجمُها ... بنجمِ مأمونِ العُلا يجري
حتى استقرّ الملكُ في حجْرِها ... بُوركَ في ذلك من حجْرِ
يا سيّدي لا تَنْسَ عَهْدي فما ... أطلبُ شيئاً غير ما تدري

قال عبد الله : فذكرتُ ذلك لعجوزٍ من جواري بُوران ، فعرفتِ القصة وقالت : إنّ المأمون قرأ الرقعة على بوران فقال : أفهمت معنى الزانية ؟ قالت : نعم ، فبالله يا سيدي إلاّ سررتني بالكتاب بحملها إليك . فحمّلَتْ إليه .

لما توفي محمد بن حامد الذي كانت عُريب تحبُّه صار جعفر بن حامد إلى منزله لينظر

---

(١) كذا في الأصل

(٢) من التاريخ (تراجم النساء) ص ٢٣١ .

(٣) فم الصّلْح : مدينة على شرقي دجلة ، فوق واسط ، بينها وبين جَبُّل . انظر معجم البلدان ٢٧٦/٤ وبلدان الخلافة الشرقية ص ٥٧ ، ٥٨ والخريطة مقابل ص ٤٠ . وموقعها في لواء الكوت شرقي العراق .

إلى تركته ، فأُخرج إليه سفَطٌ مختوم ، وإذا فيه رقاع عُريب ، فجعل يتصفَّحُها ويضحك فأخذتْ[1] رقعةً فإذا فيها شعرٌ لها : [من المجتث]

وَيْلي عليـــــكَ ومِنْكا ... أوقعتَ في القلبِ شكّـــا
زعمتَ أني خـــــؤونٌ ... جَـــــوْراً عليَّ وإفْكا
ولم يكنْ ذاك مني ... إلاّ مُجـــونـــــاً وفَتْكا
إنْ كانَ مـا قلتَ حقّـاً ... أو كنتَ حـــاولتَ تَرْكا
فـــأبـــدلَ اللهُ قلبي ... بفَتْكـــةِ الحُبِّ نُسْكا[2]

دخلتْ عُريب إلى المتوكل وقد نهض من عِلّةٍ أصابتْه ، وعاد إلى عاداته واصطبح ، فغنّتْ : [من البسيط]

[٨١/أ] شكراً لأنْعُمِ مَنْ عافاكَ من سَقَمِ ... كنتَ المُعَـــافى من الآلامِ والسقَمِ
عادتْ بنورك للأيامِ بَهْجَتُهـا ... واهتزّ نَبْت رياضِ الجودِ والكَرَمِ
ما قام للدين بعدَ المصطفى مَلِكٌ ... أعَفُّ منكَ ولا أرعى على الذِّمَمِ
فعمَّر اللهُ فينـــا جعفراً ونفى ... بنـــورِ سُنّتِـهِ عنّـــا دُجى الظُّلَمِ

فطرب وشرب وأجلسها إلى جنبه ، ولم تزَلْ تُغنّيه إيّاه ويشربُ عليه حتى سكر .

ودخلَتْ عليه قبل نهوضه من العِلّةِ والحُمّى تعتادُه ، فقال لها : أنت مشغولةٌ عني بالقَصْف[3] وأنا عليل ! فقالت هذا الشعر : [من الطويل]

أتَـوْني فقـــالـوا بـــالخليفـــةِ عِلّـــةٌ ... فقلتُ ونارُ الشوق تُوقَدُ في صَدْري
ألا ليتَ بي حمى الخليفـــــــةِ جعفرٍ ... فكانَتْ بيَ الحُمّى وكان لـــــهُ أجْري
كفى حـــزَنـــاً أنْ قيـــل حُمَّ فلم أمُتْ ... من الحُـــزْنِ إني بعـــدَ هـــذا لَـــذُو صَبْرِ
جُعلتُ فـــــداءً للخليفـــــةِ جعفرٍ ... وذاكَ قليـــلٌ للخليفـــــةِ منْ شُكْرِ

---

(١) الآخذ هو أحمد بن جعفر بن حامد راوي الخبر ، وهو ابن أخي محمد بن حامد . انظر التاريخ (تراجم النساء) ص ٢٣٢ والأغاني ١٨٣/١٨ ط بولاق .

(٢) الأبيات في الأغاني ٧٨/٢١ ط دار الثقافة ونهاية الأرب ١٠٥/٥ عدا البيت الثالث .

(٣) القصف : اللهو واللعب . اللسان .

فلمَّا عوفي قالت : [من الطويل]

حَمَدْنا الذي عافى الخليفةَ جعفراً ... على رُغْمِ أشياخِ الضلالةِ والكُفْرِ
وما كان إلاَّ مثلَ بدرٍ أصابَهُ ... كسوفٌ قليلٌ ثم أجْلَى عن البَدْرِ
سلامتُهُ للدينِ عِزٌّ وقوَّةٌ ... وعِلَّتُه للدينِ قاصمةُ الظَّهْرِ
مرضتَ فأمرضتَ البريَّةَ كُلَّها ... وأظلمتِ الأبصارُ من شِدَّةِ الذُّعْر
فلما استبانَ الناسُ منك إفاقةً ... أفاقوا وكانوا كالقيام على الجَمْرِ
سلامةُ دنيانا سلامةُ جعفرٍ ... فدامَ مُعافًى سالماً آخرَ الدَّهْرِ
إمامٌ يعمُّ الناسَ بالعَدْلِ والتقى ... قريباً من التقوى بعيداً من الوِزْرِ

كانت عُريب تعشق صالحاً المنذريّ ، وتزوَّجتْهُ سرّاً ، فوجَّه به المتوكل في حاجةٍ له إلى مكانٍ بعيد ، فعملت فيه شعراً وصاغَتْهُ لَحْناً وهو : [من مجزوء الكامل]

[٨١/ب] أمَّا الحبيبُ فقد مضى ... بالرُّغْمِ مني لا الرِّضا
أخطأتُ في تَرْكي لِمَنْ ... لم ألْقَ منه عِوَضا
لبعدِهِ عن ناظري ... صرتُ بعيشي غَرِضا[1]

وغنَّتْه بين يدي المتوكل ، فاستعادَهُ مراراً وجواريه يتغامَزْنَ ويضحكن ، ففطنَتْ ، فأصغَتْ إليهن سرّاً من المتوكل وقالت : ياسحّاقات ! هذا خيرٌ من عملكن .

مرضَتْ قَبيحة[2] فقال المتوكّل لعُريب : قولي في عِلَّةِ قَبيحَةَ شيئاً ، وغنِّي فيه ، ولْيكنْ قولُكِ الشعر على لساني يذكُر وَلَعِي بها . فقالت : [من البسيط]

بثَّتْ قَبيحَةُ في قلبي لها حُرَقا ... وبدَّلَتْ مقلتي من نَوْمها أرَقا
ماذاكَ إلاَّ لشكواها فقد عطفَتْ ... قلبي على كلِّ شاكٍ بعدها شفَقا
كأنها زهرةٌ بيضاءُ قد ذبَلَتْ ... أو نَرْجِسٌ مسَّ مسكاً طيِّباً عَبِقا
إني لأرحَمُ من حبي لها ـ سَلِمَتْ ... من كلِّ حادثةٍ ، ياقوم ـ مَنْ عَشِقا

---

(١) البيتان الأول والثاني في الأغاني ١٨٤/١٨ ط بولاق ونهاية الأرب ١٠٧/٥ .

(٢) قبيحة : هي والدة المعتز بالله ، سميت بذلك لفرط جمالها ، تبصير المنتبه ص ١٠٦٨ .

وغنَّتْ فيه ، فاستحسنه المتوكِّل وأمر أنْ تـدخُلَ إلى قَبيحـةَ فتنشـدهـا الشعر وتغنّيهـا به ، فقالت لها قَبيحة : فأجيبيهِ عني ، فقالت : [من البسيط]

يـاسيِّـدي أنت حقّـاً سُمْتَني الأرقـا ... وأنت علَّمْتَ قلبي الـوَجْـدَ والحُرَقـا
لـولاك لم أتـألَّمْ عِلَّـةً أبـداً ... لكنْ على كَبِـدي أسرفْتَ فـاحترقـا
إذا شكـوتُ إليـه الـوَجْـدَ كـذَّبني ... وإنْ شكا قال قلبي ـ خيفةً ـ : صـدَقـا

وخرجَتْ إليه فأنشدَتْهُ الشعر وغنَّتْ فيه .

ولها في المستعين أشعارٌ كثيرة .

وُلدتْ عريب سنة إحْدى وثمانين ومئـة ، وتوفِّيت سنـة سبعٍ وسبعين ومئتين بِسُرَّ مَنْ رأى[1] ولها ستٌّ وتسعون سنة .

٥٩ ـ عَزَّة بنت حُمَيْل بن حَفْص

ويقال بنت حُمَيد[2] بن وقَّاص بن إياس بن عبد العُزَّى بن حاجب بن غِفَار

وفي نسبها اختلاف [٨٢/آ] أم عمرو الضَّمْريَّة ، صاحبةُ كُثَيِّر

وفدَتْ على عبد الملك .

وحُمَيْل : بضم الحاء المهملة وفتح الميم .

دخلتْ عَزَّةُ على عبد الملك بن مروان ـ وهو لا يعرفُها ـ ترفعُ مَظْلَمـةً لها ، فلمَّا سمع كلامها تعجَّب منه ! فقال له بعضُ جلسائه : هذه عَزَّةُ كُثَيِّر ، فقال عبـد الملـك : إنْ أردتِ أنْ أردَّ عليكِ مظلمتَك فأنشـديني مـاقـال فيـك كُثَيِّر ، فـاستحيَتْ وقـالت : والله مـاأعرف كُثَيِّراً ، لكني سمعتُهم يحكون عنه أنه قال فيّ : [من الطويل]

---

(١) سر من رأى : هي سـامرّاء ، مـدينـة بين بغـداد وتكريت على شرقي دجلـة . انظر معجم البلـدان ١٧٣/٣ وبلدان الخلافة الشرقية ص ٧٦ .

(٢) كذا الأصل والتاريخ والأغاني ٣٦/٨ ط بولاق ، والصواب فيـه : « حُميل » تبعاً للقول المذكور في الإكال ٢٠٤/٦ واللباب ٢٦٧/١ ووفيات الأعيان ١٠٧/٤ والخلاف على ما يبـدو في أبي حميل ، هل هو حفص أم وقـاص ؟ وقـد ذكر الأول في الإكال ١٢٨/٢ والثاني في ٢٠٤/٦ كما أشرت .

قضى كُـلُّ [ذي] دَينٍ علمتُ غَرِيمَـهُ وعَـزَّةُ ممطـولٌ مُعَنًّى غَرِيمُهـا[1]

فقال عبد الملك : ليس عن هذا أسألك ، ولكنْ أنشديني من قوله : [من الطويل]

وقـد زعَمَتْ أني تغيَّرْتُ بعـدَهـا ومَنْ ذا الـذي يـاعَـزُّ لا يتَغيَّرُ
تغيَّرَ جسمي والخَليقـةُ كالـذي عهـدتِ ولم يُخبِرْ بسرِّك مُخبِرُ[2]

قالت : قد سمعتُ هذا ولكني سمعتُ الناسَ يحكون عنه أنه قال فيّ : [من الطويل]

كأني أُنـادي صخرةً حين أعرضَتْ من الصُّمِّ لـو تمشي بهـا العُصْمُ زَلَّتِ
صفـوحٌ فمـا تلقـاكَ إلاَّ مَلُـولـةً فَمَنْ مـلَّ منهـا ذلـك الـوَصْـلَ ملَّتِ[3]

فقضى حاجتها وردَّ مظلمتها وقال : أدْخِلُوها على الجواري يأخذْنَ من أدبها .

وعن أمِّ البنين ابنة عياض بن الحسن[4] الأسلميّة قالت :

سارت علينا عزَّةُ في جماعةٍ من قومها فنزلَتْ على بئر ابن يربوع الجُهَنيَّة[5] ، فسمعنا بها فاجتمع جماعـةٌ من نسـاء الحـاضر أنـا فيهنّ ، فجئنـاهـا فرأينـا امرأةً حُميراء حلوة لطيفـة ، فتضاءلْنَها ، ومعنا نسوةٌ كلُّهنَّ لهنَّ الفضْلُ عليها في الجمـال والخَلْق إلى أنْ تحـدَّثت عَزَّةُ ، فـإذا هي أبرعُ الخلق وأحلاهُ حديثاً ! فما فارقناها إلاَّ ولهـا الفضل في أعيننـا ، ومـا نرى أنَّ امرأةً تفوقُها حسناً وجمالاً وحلاوة .

قال أبو عبيدة :

دخل كُثيِّر على عبد الملك بن مروان ، وكان كثير دميماً ، فلمـا نظر إليـه عبـد الملـك قال : تسمَعُ بالمُعَيْديِّ لا أنْ تراه[6] . فقال كثير : [من الوافر]

---

(١) البيت في الديوان ص ١٤٣ وما بين معقوفين منه ، وسيذكره مرة أخرى في ص ١٨٩ .

(٢) الديوان ص ٣٢٨ .

(٣) الديوان ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٤) كذا الأصل ، وفي التاريخ (تراجم النساء) : « الحسين » وفي الأغاني ٢٨/٩ ط دار الكتب : « قسيمة بنت عياض بن سعيد الأسلمية » .

(٥) البئر مؤنثة ، و « الجهنيّة » صفة لها ، وفي الأغاني : « ... قومها بين يدي يربوع وجهينة » .

(٦) من أمثالهم ، يضرب لمن خبره خير من مرآه . انظر مجمع الأمثال ١٢٩/١ والمستقصى ٣٧٠/١ .

[٨٢/ب] ترى الرجلَ النَّحيفَ فتزدريه ... وتحت ثيابِه أسدٌ يَزيرُ
ويُعجبُكَ الطريرُ فتختبرُهُ ... فيُخلِفُ ظنَّكَ الرجلُ الطريرُ
وما عِظَمُ الرجالِ لهم بِزَيْنٍ ... ولكنْ زَيْنُهم كرمٌ وخِيْرُ[1]
فقد عَظَمَ البعيرُ بغيرِ لُبٍّ ... فلم يَسْتَغْنِ بالعِظَمِ البعيرُ
يُصَرِّفُهُ الصبيُّ بكلِّ وَجْهٍ ... ويحملُهُ على الخَسْفِ الجَريرُ
شرارُ الأُسْدِ أكثَرُها زئيراً ... وخيرتُها الليواتي لا تَزيرُ
بُغاثُ الطيرِ أكثَرُها فِراخاً ... وأمُّ الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نَزُورُ[2]

فقال له عبد الملك : إنْ كُنَّا أسأنا لكَ اللقاء فلسنا نسيءُ لكَ الثواب ، فاذكُرْ حاجتك ، فقال : تزوِّجْني عَزَّة . فأحضرَ أهلَها وأمرهم بتزويجِه إياها ، فقالوا : هذه امرأةٌ بالغ ، لا يُولى على مثلها ، ونحن نعرِضُ ذلك عليها ، فإنْ أجابَتْ إليه امتثلناه . فأمر بإحضارها ، فعرض عليها التزويج به ، فقالت : بعد ما شهَّرَني في العرب وشبَّبَ بي فأكثر ذكري ، ما إلى هذا سبيل . فقال فإذْ أبيتِ هذا وكرهتِه فاكْشِفي وجهك . فثقل ذلك عليها ، ثم فعلت ومضَتْ مكشوفةَ الوجه إلى بعض حُجَرِ عبد الملك ، فدخلتِ الحجرة ونظرت إلى كُثَيِّر مُغْضَبة ، فقال بعضُ مَنْ حضرها جُنَّتْ جُنَّتْ . فأنشأ كُثَيِّر يقول : [من الطويل]

أصاب الردى مَنْ كان يهوى لكِ الردى ... وجُنَّ الليواتي قُلْنَ عَزَّةُ جُنَّتِ
فهنَّ لأولى بالجنونِ وبالخنا ... وبالسيِّئاتِ ماحَيِينَ وحَيَّتِ
ولَمَّا رأتْ مَنْ حولها نقص الحيا ... رمتْني ببَاقي وَصْلِها ثم ولَّتِ
فصدَّتْ كذاتِ البَوِّ تتبع سقرها ... فلما قضت يأساً من البَرِّ حنَّتِ[3]

---

(١) الخِير ، بالكسر : الشرف . اللسان . وقوله : « فتختبرْهُ » من الضرائر ، أجراه مجرى المجزوم . انظر الضرائر ٢٧٠

(٢) الأبيات في الديوان ص ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، وتنسب لغير كثير كما أشير فيه . وقوله « مقلاة » كذا في الأصل والتاريخ ، والصواب فيه « مقلات » وهي التي لا يعيش لها ولد أو هي التي تلد واحداً ثم لا تلد بعد ذلك . اللسان (قلت) .

(٣) كذا رواية البيت في الأصل ، وصُحِّف في ثلاثة مواضع ، وقراءته كما تبدو لي :

فصرتْ كذاتِ البَوِّ تتبعُ سَقْبَها ... فلمَّا قضَتْ يأساً من البَوِّ حَنَّتِ

البوّ : جلد الفصيل يُحشى تبناً أو حشيشاً لتعطف عليه الناقةُ إذا مات ولدها . والسقب : ولد الناقة . وحنَّت : مدَّت صوتها شوقاً إلى ولدها .

أسيئي بنـا أو أحسني لامَلُولـةً[1] لـدينـا ولا مقليّـةً إنْ تقلّتِ[2]

فحلفتْ أنْ لاتكلّم كثيّراً سنةً ، فلما انصرفتْ من الحج بَصُرَتْ بكثير وهو على جَمَلِه يخفقُ نُعَاساً ، فضربَتْ رجلَهُ بيدها وقالت : كيف أنت ياجمل ؟ فأنشأ كُثَيِّر يقول : [من البسيط]

[٨٣/آ] حيِّتْكِ عَزَّةُ يوم البينِ وانصرفَتْ فحيٌّ وَيْحَكِ مَنْ حيّاكَ ياجَمَلُ

لو كنتَ حيِّيْتَهَا مازلتَ ذا مِقَةٍ عندي وما مسَّك الإدْلاجُ والعَمَلُ

ليتَ التحيَّةَ كانت لي فأُبْدِلَهَا مكانَ ياجَمَلٌ : حُيِّيتَ يارجلُ

فحنَّ من جزَعٍ إذْ قلتُ ذاكَ لَهُ ورام تكليمَها لو تنطِقُ الإبِلُ[3]

دخلتْ عزَّةُ على أمِّ البنين أختِ عمر بن عبد العزيز فقالت لها : ياعزَّة ماقول كثير : [من الطويل]

قضى كلُّ ذي دينٍ علمتُ غريمَهُ وعزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غريمُها[4]

ماكان هذا الدَّين ؟ قالت : كنتُ وعدتُه قُبْلَةً ثم إني حَرِجتُ منها ، فقالت : أنجزيها له وعليَّ إثْمُها .

أرادتْ عزَّةُ أنْ تعرفَ مالها[5] عند كُثَيِّر ، فتنكَّرَتْ له ومرَّتْ به متعرِّضة ، فاتَّبعَها وكلَّمها فقالت له : فأين حبُّكَ عزَّة ؟ فقال : أنا الفداء لك لو أنَّ عزَّة أمَةٌ لي لوهَبْتُها لك ، قالت : ويحك ! لاتفعل ، فقد بلغني أنها لك في صدق المودَّة ومحض المحبَّة على حسب الذي كنت تبدي لها من ذلك . وبعد فأين قولك : [من الطويل]

إذا وصلَتْنا خُلَّةً كي تُزيلَنا أبَيْنا وقلنا الحاجبيَّةُ أوَّلُ[6]

---

(١) في الديوان : « ملومة » وهو أشبه بالصواب .

(٢) البيتان الأول والأخير في الديوان ص ١٠١ و١٠٢ وجميعها مع الخبر في « الحدائق الغناء » ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٣) الأبيات في الديوان ص ٤٥٣ .

(٤) مضى تخريجه ص ١٨٧ ح ١ .

(٥) في التاريخ (تراجم النساء) : « حالها » .

(٦) البيت في ديوانه ص ٢٥٥ .

فقال كثير : بأبي أنت ، أقصري عن ذكرها واسمعي ماأقولُ . ثم قال : [من البسيط]

هَلْ وصلُ عزَّةَ إلاَّ وصلُ غانيةٍ في وصْلِ غانيةٍ من وصلها بدَلُ[1]

قالت : فهل لك في المجالسة ؟ فقال : كيف لي بذلك ؟ فقالت : فكيف بما قلتَ في عزَّةَ وسيَّرْتَهُ لها ؟ فقال : أقلبُهُ فيتحوَّلُ إليكِ ويصيرُ لك . قال : فسَفَرَتْ عن وجهها وقالت : أغَدْراً وتنكاثاً يافاسق ! وإنك لهاهنا ياعدوَّ الله ؟ قال : فبُهت وأبلس ولم ينطق ، وتحيَّر وخجل . ثم إنها عرفت أمرها ونَكْثَه وغَدْرَهُ بها ، وأعلمَتْهُ سوءَ فعاله وقلَّةَ حفاظه ، ونقضَهُ العهد والميثاق ثم قالت : قاتل اللهُ جميلاً حيث يقول : [من الطويل]

لحا اللهُ مَنْ لا ينفع الودُّ عندَهُ ومَنْ حَبْلُه ـ إنْ صُدَّ ـ غَيْرُ متينِ
وَمَنْ هو ذو وجهَيْنِ ليس بدائمٍ على العهدِ حلاَّفٌ بكلِّ يمينِ[2]

[٨٣/ب] فأنشأ كُثيِّرٌ يقولُ باغتزالٍ وحصَرٍ وانكسار يعتذرُ إليها ويتنصَّلُ متمثِّلاً بقولِ جميل ـ ويقال بل سرقَهُ من جميل ونحَلَهُ إلى نفسه فقال : [من الطويل]

ألاَ ليتني قبل الذي قلتُ شِيبَ لي من المُذْعِفِ القاضي وسُمَّ الذرارحِ
فتُّ ولم تعلَمْ عليَّ خيانةً ألاَ رُبَّ باغي الرِّبْحِ ليس برابحِ
فلا تحمليها واجعليها جنايةً تروَّحت منها في مِيَاحَةِ مائحِ
أبوءُ بذنبي إنني قد ظلمتُها وإني بباقي سرِّها غيرُ بائحِ[3]

قال الزبير بن بكّار :

بينما كُثيِّر ينشدُ الناس وقد حشدوا له إذْ مرَّتْ به عزَّة ومعها زوجها ، فقال لها زوجها : والله لَتَسُبَّنَّهُ أو لأسوءَنَّك ، فقربتْ منه تسبُّه فأنشأ يقول : [من الطويل]

يكلِّفُها الخنزيرُ سبِّي وما بها هواني ولكنْ للمليكِ استذلَّتِ
هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ لعزَّةَ من أعراضنا ما استحلَّتِ

---

(١) البيت في ديوانه ص ٥١٦ وتروى قافيته : « خلف » انظر الديوان ص ٥٠٥ .

(٢) البيتان في ديوان جميل ص ٢١٠ بخلاف يسير .

(٣) الأبيات في ديوان جميل ص ٥٤ ، ٥٥ .

فـا أنـا بـالـدَّاعي لعـزَّةَ بـالجـوى ولا شـــامتٍ إنْ نَعْـــلَ عـــزَّةَ زَلَّتِ
أصاب الردى مَنْ كان يهوى لكِ الردى وجُنَّ اللـــواتي قُلْنَ عـــزَّةُ جُنَّتِ[1]

بلغ كثيراً أنَّ عزَّةَ مريضةٌ بمصر وأنها تشتاقه ، فخرج يريدها ، فلمَّا صار ببعض الطريق إذا غراب بانةٍ يَنتِفُ ريشه ، فتطيَّر من ذلك ، فبينا هو يسير لقي رجلاً عائفاً زاجراً[2] ، فأخبره بما قصد له وما رأى في طريقه فقال له : لقد ماتتْ هذه المرأة أو استبدلتْ بديلاً . فقدم مصر فوجد الناس منصرفين من جنازتها فأنشأ يقول :

فـــا أعيفَ النَّهْـــديَّ لا دَرَّ دَرُّهُ وأعلمَـهُ بـالـزَّجْر لاعـزَّ نـاصرُهْ
رأيتُ غُرابساً واقعـاً بين بـانـةٍ يُنَتِّفُ أعلى ريشِـــهِ ويُطـــايرُهْ
فـأمَّا غرابٌ فـاغترابٌ من النـوى وبـانٌ فَبَيْنٌ من حبيبٍ تُعـاشِرُهْ[3]

[٨٤/آ] ٦٠ ـ عَفْراء بنت عقال بن مُهَاصر العُذْريَّة

صاحبةُ عُروَةَ بن حِزَام بن مُهاصر وابنة عمِّه

قدمتِ الشام ونزلتِ البَلْقاء[4] ، وكانت بنواحي بُصْرى ، وهي شاعرة .

مرَّ ركبٌ بوادي القُرَى يريدون البلقاء ، فوجدوا جنازةً ، فسألوا : من الميت ؟ فقالوا : عروة بن حِزَام ، فقال بعضهم لبعض : لنَأْتينَّ عفراءَ بما يسوؤها . فساروا حتى مرُّوا بمنزلها ليلاً ، فصاح صائحٌ بأعلى صوته : [من الطويل]

ألا أيُّهـــا القصر المغفَّـلُ أهلُـــهُ إليكم نعَيْنـــا عروةَ بنَ حِـــزَامِ

فسمعَتْ عفراءُ الصوت ففهمَتْه ونادتْ بهم : [من الطويل]

---

(١) الأبيات في الديوان ص ٩٩ ـ ١٠٢ و١٠٧ .

(٢) العائف : المتكهِّن ، من العيافة ، وهي زجْر الطير والتفاؤل أو التشاؤم بأسمائها وأصواتها ومرها . وكذا الزاجر : من الزجر للطير ، وهو التيمُّن بسنوحها والتشاؤم ببروحها . اللسان (زجر ، عيف) .

(٣) الأبيات في الديوان ص ٤٦١ ، ٤٦٢ .

(٤) البلقاء : كورة من أعمال دمشق ، بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمان . انظر معجم البلدان ٤٨٩/١ .

ألا أيُّهـا الركْبُ المخبُّـونَ وَيْحكم أحقـاً نعَيْتُمْ عروةَ بنَ حِـزَامِ ؟

فقال بعضهم :

نعَمْ قَـدْ دفنَّـاهُ بـارضٍ بعيـدةٍ مقيمٌ بهـا في سَبْسَبٍ وإكامِ[1]

فقالت :

فإنْ كان حقاً مـاتقولون فـاعلموا بـأنْ قـد نعَيْتُمْ بَـدْرَ كُـلِّ ظـلامِ
نعيتُمْ فتًى يُسقى الغمامُ بـوجهـهِ إذا هي أمسَتْ غيرَ ذاتِ غمـامِ
فـلا نفـعَ الفتيـانَ بعـدك لـذَّةٌ ولا مـالَقُـوا من صِحَّـةٍ وسـلامِ
ولا لبس الطِّيقـانَ بعـدكَ لابسٌ ولا جُمَّمَتْ بعـد الحبيبِ جِمَـامُ[2]
وقـل للحَبَـالى لا يُرَجِّينَ غـائبـاً ولا فَرِحـاتٍ بعـده بغـلامِ[3]

ثم أقبلتْ على زوجها فقالت : ياهنـاه ! إنـه قـد كان من أمر ذلـك الرجل مـابلغـك ، والله ما كان إلاَّ على الحسَنِ الجميل ، وقـد بلغني أنـه مـاتَ قبل أنْ يصلَ إلى أهلـه ، فـإنْ رأيتَ أنْ تأذَنَ لي فأخرج في نسوةٍ من قومه فنندبه ونبكي عليـه فعلت . فـأذِن لهـا ، فخرجَتْ تنوحُ بهذه الأبيات حتى ماتَتْ .

وعن ابن أبي الزِّنَاد قال : قال عمر بن الخطاب :
لو أدركتُ عفراءَ وعُروةَ جمعتُ بينَهما[4] .

قال معاذ بنُ يحيى الصنعاني :

خرجتُ من مكة إلى صنعاء ، فلما كان بيننا وبين صنعـاء خمسُ مراحل رأيتُ النـاس ينزلون عن محاملهم ويركبون دوابَّهم ، فقلتُ : أين تريـدون ؟ قـالوا : نريـد أن ننظر إلى قبر عَفْراء [٨٤/ب] وعروة ، فنزلتُ عن محملي وركبتُ حماري واتصلت بهم ، فـانتهيتُ إلى

(١) السبسب : الأرض البعيدة القفر ، والمفازة .

(٢) الطيقـان : جمع طـاق وهو الكسـاء أو الطيلسـان . وجمام : جمع جُمَّة ، وهي مجتمع شعر الرأس . وجَمَّم شعرَه : جَعل جُمَّة . ولفظ الديوان : « ولا رُجِّلت ... » وفي البيت إقواء .

(٣) الخبر مع الأبيات في « شعر عروة » ص ٣٦ ـ ٣٩ والحدائق الغناءص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٤) عُزي هذا القول إلى معاوية ، وهو أشبه بالصواب . انظر الأغاني ١٥٧/٢٠ وخزانة الأدب ٥٣٥/١ .

قبرَيْن متلاصقَيْن ، قد خرج من هذا القبر ساقُ شجرة ، ومن هذا القبر ساقُ شجرة ، حتى إذا صارا على قامةِ التفًا ، فكان الناسُ يقولون تآلفا في الحياة وفي الموت .

قال إسحاق : فقلت لمعاذ : أترى أيَّ ضربٍ هو من الشجر ؟ فقال : لاأدري ، ولقد سألتُ أهل القرية عنه فقالوا لانعرفُ هذا الشجرَ ببلادنا .

٦١ ـ عَمَّارَة أخت الغَرِيض

كانتْ عمَّارة من أحسن الناس وجهاً وغناءً . واشتراها عبد الله بن جعفر من العَبَلات[1] مولياتِها ، وكتمها من زوجته ، وكان يجِدُ بها وَجْداً شديداً ، ثم أهداها إلى يزيد بن معاوية .

وفيها يقول بعضُ فتيان المدينة : [من الخفيف]

لو تمنَّيْتُ فانتهيتُ لكانتْ غايةَ النفسِ في المنى عمَّارَهْ
بأبي وجهك الجميل الذي يَزْ دادُ حسناً وبَهْجةً ونضارَهْ

وكان عبد لله بن جعفر اشتراها بثلاثين ألف درهم ، ووقعَتْ منه أحسنَ موقع ، ثم وفد إلى معاوية ومعه سائب خاثر وغيره ، فلمَّا ورد عليه سُرَّ به وأنس بمكانه ؛ وكان يسمرُ معه ، فبينا معاوية ليلة خرج من بعض دور حَرَمه إذْ سمع غناءً من نحو دار يزيدَ ابنهِ ، فسعى نحوه حتى قرب منه ، فإذا سائب خاثر يُغَنِّيه : [من الرمل]

بينما يَنْعَتْنَني أبصَرْنَني دون قِيدِ الميلِ يَعْدُو بي الأغرْ
قالتِ الكبرى : أتعرفْنَ الفتى قالت الوسطى : نعَمْ هذا عُمَرْ
قالت الصُّغْرى وقد تَيَّمْتُها : قد عرفناهُ وهل يخفى القمَرْ[2]

فما فرغ من الصوت حتى طرب معاوية فضرب برجلهِ الأرض وبعث إلى ابن جعفر

---

(١) العبلات : بطن من بني أمية الصغرى من قريش ، نَسبوا إلى أمهم عبلة إحدى نساء بني تميم . اللسان (عبل) .

(٢) الأبيات في الأغاني ١١٩/١ ط دار الكتب ، وما عدا الثاني في الديوان ص ٣١ ط ليبك .

فأحضره فقال له : يا هذا ما جلبت عليَّ بوفادتك بغلمانك المغنين ؟ ! ثمَّ دخلَ إلى يزيد ، فلما رآهُ غلْمانُه أسرعوا إليه فأعلموه فتناوم ، ومضى معاويةُ ، فلما كان من الغد بعث [٨٥/آ] إلى يزيد أنَّ مكانَ القَوم لم يخفَ عليَّ عندك ، فلا تُعاودَنَّ ذلك . فلم يُعاودْ ومضى إلى عبد الله بن جعفر ليلةً ، فسأله إخراجَهم إليه ، ففعل وغنَّوه ، وخرجت عمَّارةُ فغنَّتْهُ ، فشُغف بها ، وهمَّ بطلبها منه ، ثم أمسكَ خوفاً من أبيه ، وكراهية أنْ يردَّهُ ابن جعفر ، ولم تزلْ في نفسه حتى ولي الخلافة ، فوفد إليه سائب خاثر فأقام عنده أياماً ؛ ثم ذكر له يزيد أمْرَها وما في نفسه منها فقال له : إنَّ عبد الله مَنْ قد علمت ، وهو بعيد المَرَام ، ولستُ أقدم عليه ، ولا مثلي يجسرُ على مخاطبته في مثل هذا ، ولكن عليك ببُدَيْح ، فدعا به وأبثَّهُ سرَّه ، وسأله السعيَ له في ذلك ، فلما قدِم عليه عبدُ الله بن جعفر صار إليه بُدَيح فقال له : إنك قد جنيتَ على نفسك جنايةً أنتَ فيها بين حالين : من مفارقةٍ لذَّةٍ لك وحالٍ تؤثرها ، أو سقوط الجاه وخيبة الوفادة ، وعداوة الخليفة . قال له : وَيْحك ! وفيم ذلك ؟ فأخبره بالقصَّة . فقال له : أخرجتَ أحسنَ الناسِ وَجْهاً وغناءً ، إلى شابٍّ مترف غزِل فهويَها ، وذهبَتْ بعقلِه كلَّ مذهب ، فكتم ما يلقى خوفاً من أبيه طُولَ هذه المدة ! فاخترِ الجارية أو رأيه ؛ قال : فما الرأي عندك ؟ قال : الرأيُ عندي أنْ تدَعَني أمضي إليه فأُخبِرَهُ أني قد أشرتُ عليك أنْ تُهديَها له ، كأنَّكَ لم تعلم بذاتِ نفسه ، وتبعثُ بها إليه ابتداءً فيكون ذلك أجملَ من أنْ تُجَشِّمَهُ مسألةً وشكوى بثّ ، وتتسلَّى عنها ، فإنَّ لك من الجواري عِوَضاً ، فقال ابنُ جعفر : لا والله مالي منها عوض ، وإنَّ فراقَها لفراقُ السرور ما بقِيت ، ولكنْ أفعل . فدخل بُدَيح إلى يزيد مبادِراً وبشَّرَهُ بالقصة . فلمَّا كان الليل بعث ابنُ جعفر بها إليه وقد زيَّنها وحلاَّها وبعث بها مع قيِّمةِ جواريه ، وأمرها أنْ تقولَ له : هذه الجاريةُ كنتُ ملكْتُها ، وهي رضًى لك ، ورأيتُ أن أُوثِرَكَ بها ، فبارك الله لك وسرَّك . فلمَّا وصلَتْ إليه عظُم قَدْرُ ابنِ جعفر عنده ووهب لبُدَيح ألفي دينار ، وقضى حوائج ابنِ جعفر لوفادته وزاده مئة ألف درهم[1] .

---

(١) أورد ابن عساكر الخبر في التاريخ في ترجمة عبد الله بن جعفر بسياق مختلف .

[٨٥/ب] ٦٢ ـ عَمْرَةُ بنت النعمان بن بشير بن سعد الأنصارية

امرأة شاعرةٌ .

كان لحارثُ بن خالد خطب فيّ مقدمهِ دمشق عَمْرةَ بنتَ النعمان الأنصارية فقالت : [من المتقارب]

كهولُ دمشقَ وشُبَّانُها ... أحَبُّ إليَّ من الجاليَهْ[1]

لهم ذَفَرٌ كَصُنَانِ التيـ ... ـسِ أعيا على المسكِ والغاليَهْ[2]

فقال الحارث : [من الخفيف]

ساكنات العقيق أشهى إلى النَّفْـ ... ـسِ منَ السَّاكناتِ دُورَ دمشقِ

يتنَسَّوَّعْنَ إنْ تطيَّبْنَ بالمِسْـ ... ـكِ صُنَاناً كأنه ريحُ مَرْقِ[3]

ورواهما بعدُ علماء قريش للمهاجر بن خالد وقال :

لنساء من الحَجُونِ إلى الخَنْـ ... ـمَةِ[4] في مقمراتِ ليلٍ وشَرْقِ

الحَجُون : مقبرة أهلِ مكة وُجاهَ بيت أبي موسى . والخَنْمَة[4] : صخراتٌ مشرفات في رَبْع عمر بن الخطاب . وقيل : إنّ هذا الشعر لأختها حميدة بنت النعمان . وقيل : إنه لأمها ليلى بنت هانئ بن الأسود الكِنْديّة . وتزوّجها المختار بن أبي عُبيد الثقفي ، وهي التي قتلها مُصْعَب بن الزبير .

---

(١) الجالية : أهل الحجاز ، كان أهل الشام يسمونهم بذلك لأنهم كانوا يجلون عن بلادهم إلى الشام . الأغاني ١٣٨/٨ .

(٢) الذفر : خبث الريح ، والصنان : ذفر الإبط ومعاطف الجسم . وينسب البيتان لأختها حميدة كما سيأتي وكما أوردها صاحب الأغاني ١٣٨/٨ و١٢٩/١٤ ط بولاق .

(٣) المرق : الجلد المنتن . والبيتان في اللسان (مرق) بخلاف يسير والأغاني ١٣٨/٨ ط بولاق ، وأنساب الأشراف ٢٠٢/٥ ونسب قريش لمصعب ص ٣١٢ ، ٣١٤ ومعجم البلدان (حثة) ٢١٧/٢ ، ٢١٨ .

(٤) في الأصل : « الخيمة » وما أثبتُّه من معجم ماستعجم ٤٢٥/٢ ، ٤٢٦ وعزاه البكري مع البيت الأول إلى المهاجر بن خالد بن الوليد ، ومعجم البلدان (حثة) ٢١٨/٢ وعزاه مع البيتين السابقين لمهاجر بن عبد الله المخزومي .

قال صالح بن الوجيه :

كانت عند المختار امرأتان : إحداهما أمُّ ثابت بنت سَمُرَة بن جُندب ، والأخرى عَمْرة بنتُ النعمان بن بشير الأنصاري فعرضهما مصعبٌ على البراءةِ من المختار ، فأمَّا بنتُ سَمُرَة فبرئتْ منه فخلاَّها ، وأمَّا الأنصاريَّة فقتلها .

وكان مصعب بعث إليهما فقال لهما : ماتقولان في المختار ؟ فقالت أمُّ ثابت : ماعسَيْتُ أنْ أقولَ فيه إلاَّ ما تقولون فيه أنتم ، فقالوا لها : اذهبي . وأمَّا عَمْرَة فقالت : رحمةُ اللهِ عليه إن كان عبداً من عباد الله الصالحين . فرفعها مصعبٌ إلى السجن وكتب فيها إلى عبد الله بن الزبير ، إنها تزعم أنه نبيٌّ . فكتب إليه : أنْ أخرجْها فاقتُلْها . فأخرجها بين الحِيْرة والكوفة [٨٦/آ] بعد العَتَمة ، فضربها مطر ثلاثَ ضرباتٍ بالسيف ـ ومطر تابعٌ لآل فِهْر[1] من بني عبد الله بن ثعلبة ، كان يكون مع الشُّرَط ـ فقالت : ياأبتاه ! ياأهلاه ! يا عشيرتاه ! فسمع به[2] بعضُ الأنصار وهو أبَان بن النعمان بن بشير ، فأتاه فلطمه فقال : يابن الزانيات ! قطعتَ نفسها قطع الله يمينك . فلزمه فتًى[3] رفعه إلى مُصعب ، فقال : إنَّ [أُمِّي][4] مسلمة ، وادَّعى شهادة بني [ثُعَل][5] فلم يشهدْ له أحد . فقال مصعب : خلُّوا سبيل الفتى فإنه رأى أمراً فظيعاً . فقال عمر [بن] أبي ربيعة القرشي في قتل مصعب عَمْرَة بنت النعمان بن بشير : [من الخفيف]

إنَّ من أعجب العجائب عندي ... قتلَ بيضاءَ حُرَّةٍ عُطْبُولِ
قُتلتْ هكذا على غير جُرْمٍ ... إنَّ للهِ درَّها من قتيلِ
كُتب القتلُ والقتالُ علينا ... وعلى الغانياتِ جرُّ الذيولِ[6]

---

(١) كذا في الأصل ، وفي تاريخ الطبري : « قَفَل » وفي التاريخ (تراجم النساء) : « ثعل » .

(٢) في تاريخ الطبري : « بها » .

(٣) في التاريخ (تراجم النساء) والطبري : « حتى » .

(٤) ما بين المعقوفين من التاريخ (تراجم النساء) ومحله في الأصل بياض .

(٥) من التاريخ (تراجم النساء) ومحله في الأصل بياض ، ولعله « فهر » كما تقدم ، وإلى جانب السطر حرف (ط) .

(٦) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري ١١٢/٦ والأبيات على خلاف في الرواية في الأغاني ١٣٨/٨ والأخبار الطوال ٣١٠ وديوان عمر ص ٢٤١ في القسم الذي نسب إليه وليس في أصل ديوانه طبعة ليبسك ١٣١٨ هـ .

أنّ مصعباً لقي عبد الله بن عمر ، فسلم عليه فقال له : [أنا][1] ابنُ أخيك مصعب ، فقال له ابن عمر : أنت القاتل سبعةَ آلافٍ من أهل القبلة في غداةٍ واحدة ! عِشْ ما استطعت . فقال مصعب : إنهم كانوا كفَرةً سَحَرة ، فقال ابن عمر : والله لو قتلت عدّتَهم غنماً من تراث [أبيك][1] لكان ذلك سَرَفاً . فقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك : [من الطويل]

أتى راكبٌ بالأمرذي [النَّبَأ][1] العَجَبْ ... بقَتْلِ ابنةِ النعمانِ ذي الدين والحسَبْ
بقتل فتاةٍ ذات دَلٍّ سَتيرَةٍ ... مُهَذَّبةِ الأخلاقِ والخِيمِ والنَّسَبْ
مطهَّرةٍ من نَسْلِ قَرْمٍ مُطَهَّرٍ ... من المؤثرين الخيرَ في سالف الحِقَبْ
خليلِ النبيِّ المصطفى ونصيرِهِ ... وصاحبِهِ في الحَرْبِ والنكْبِ والكُرَبْ
أتاني بأنَّ[2] الملحدين توافقوا ... على قتلها لا جُنِّبوا القتلَ والسَّلَبْ[3]
فلا هنأتْ آلَ الزبير معيشةٌ ... وذاقوا لباسَ الذُّلِّ والخوفِ والحَرَبْ
[٨٦/ب] كأنَّهمُ إذْ أبرَزُوها وقَطَّعَتْ ... بأسيافهم فازوا بمملكةِ العَرَبْ
ألم يعجبِ الأقوامُ من قتلِ حُرَّةٍ ... من المُحْصَناتِ الدين محمودةِ الأدَبْ
من الغافلاتِ المؤمناتِ بريئةٍ ... من الذمِّ والبُهْتانِ [والشكِّ والكَذِبْ][4]

قتلت بنتُ النعمان سنة سبع وستين . وقيل : إنّ مصعباً قتلها بغير أمر أخيه ، فكتب إليه يُعَنِّفُه على ذلك .

---

(١) من التاريخ (تراجم النساء) ص ٢٦٢ وتاريخ الطبري ١١٣/٦ .

(٢) في الأصل (بأن) وما أثبتُّه من التاريخ (تراجم النساء) والطبري .

(٣) في الأصل : « القتل والحرب » وهذا مستبعد لوروده في البيت التالي ، وما أثبتُّه من التاريخ (تراجم النساء) والطبري .

(٤) الخبر والأبيات في تاريخ الطبري ١١٣/٦ وما بين معقوفين منه ومن التاريخ (تراجم النساء) ص ٢٦٢ .